أخطاء بعض المسلمين في توحيد الله رب العالمين

إعداد فضيلة الشيخ

د. عبد العزيز الريس

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

ففي ليلة الخميس الموافق التاسع من شهر شعبان لعام خمسٍ وعشرين وأربعمائة وألف من هجرة النبي -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- أجتمع وإياكم في مدينة ينبع، في درس بعنوان:

أخطاء بعض المسلمين في توحيد الله رب العالمين

إخواني: إن التوحيد أوجب الواجبات، كما قال الله -جل وعلا-: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ فبدأ بالتوحيد، فدلَّ هذا دلالةً ظاهرةً على أن التوحيد أوجب الواجبات.

ونقيضه وضده: الشرك، وهو أعظم المحرمات كما قال تعالى: ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ فبدأ به، فدلَّ هذا على أنه أعظم المحرمات.

وضابط الشرك وتعريفه: هو تسوية غير الله في شيءٍ من خصائص الله ﷻ. والدليل: قوله تعالى: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٩٧ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾. وقال الله -جل وعلا-: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ﴾.

وقد ذكر هذا التعريف أبو العباس ابن تيمية: في كتابه (الاستقامة)، والإمام ابن القيم في

كتابه (مدارج السالكين)، وكذا الإمام عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن وأبوه، وغير واحد من أئمة الدعوة -رحمهم الله تعالى-.

فالشرك الذي هو أعظم الذنوب: هو تسوية غير الله بالله في شيء من خصائص الله ﷻ.

ومن عِظم الشرك: أنه الذنب الوحيد الذي لا يُغفر؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾.

ومن عِظمه: أنه الذنب الوحيد الذي يُحبط الأعمال كلها، قال الله -جل وعلا- مخاطبًا نبيه محمدًا ﷺ: ﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾.

بل إن الشرك هو الذنب الوحيد الذي يُحرِّم الجنة على العبد أبد الآبدين، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٍ﴾.

ولَمَّا عَلم الشيطان بأن الشرك أعظم الذنوب، صار يُجلب بخيله ورَجِلِه في إضلال بني آدم وإيقاعهم في الشرك، ولو أن الشيطان إذا أراد أن يوقع ابن آدم في الشرك أخبره بأنه شركٌ لكان الأمر أسهل -مع صعوبته- إلا أنه إذا أراد أن يوقع ابن آدم في الشرك صوَّر له الشرك في صورة عمل صالح يرضي الله.

لذا من أعظم خديعة الشيطان على ابن آدم تغيير الأسماء؛ فيصور التوحيد الذي جاءت به الرسل بأنه بغض الصالحين وانتقاصهم، ويسمي الشرك الذي حذَّرت منه الرسل: تعظيم الصالحين. فإذا قام داعية التوحيد وحذَّر من الشرك، قال العوام الذين لبَّس عليهم الشيطان: إن فلانًا يُعادي الصالحين. لذا راج الشرك بين كثيرٍ من المسلمين.

قال الإمام ابن القيم: وإنما سميت الشبهة شبهة لاشتباه الحق بالباطل فيها؛ فإنها تلبس ثوب

الحق على جسم الباطل، وأكثر الناس أصحاب حسن ظاهر، فينظر الناظر فيما ألبسته من اللباس فيعتقد صحتها. وأما صاحب العلم واليقين فإنه لا يغتر بذلك، بل يجاوز نظره إلى باطنها وما تحت لباسها، فينكشف له حقيقتها.

ومثال هذا: الدرهم الزائف؛ فإنه يغتر به الجاهل بالنقد نظرًا إلى ما عليه من لباس الفضة، والناقد البصير يجاوز نظره إلى ما وراء ذلك فيطلع على زيفه.

فاللفظ الحسن الفصيح هو للشبهة بمنزلة اللباس من الفضة على الدرهم الزائف، والمعنى كالنحاس الذي تحته، وكم قد قتل هذا الاعتذار من خلق لا يحصيهم إلا الله.

وإذا تأمل العاقل الفطن هذا القدر وتدبره رأى أكثر الناس يقبل المذهب والمقالة بلفظ، ويردها بعينها بلفظ آخر، وقد رأيت أنا من هذا في كتب الناس ما شاء الله، وكم رد من الحق بتشنيعه بلباس من اللفظ قبيح.

وفي مثل هذا قال أئمة السنة منهم الإمام أحمد وغيره: لا نزيل عن الله صفة من صفاته لأجل شناعة شنعت، فهؤلاء الجهمية يسمون إثبات صفات الكمال لله من حياته وعلمه وكلامه وسمعه وبصره وسائر ما وصف به نفسه تشبيهًا وتجسيمًا، ومن أثبت ذلك مشبهًا؛ فلا ينفر من هذا المعنى الحق لأجل هذه التسمية الباطلة إلا العقول الصغيرة القاصرة خفافيش البصائر.

وكل أهل نحلة ومقالة يكسون نحلتهم ومقالتهم أحسن ما يقدرون عليه من الألفاظ، ومقالة مخالفيهم أقبح ما يقدرون عليه من الألفاظ، ومن رزقه الله بصيرة فهو يكشف به حقيقة ما تحت تلك الألفاظ من الحق والباطل، ولا تغتر باللفظ، كما قيل في هذا المعنى:

تقول هذا جنى النحل تمدحه وإن تشأ قلت ذا قيء الزنابير

مدحًا وذمًّا وما جاوزت وصفهما والحق قد يعتريه سوء تعبير

فإذا أردت الاطلاع على كنه المعنى هل هو حق أو باطل، فجرده من لباس العبارة، وجرد قلبك عن النفرة والميل، ثم أعط النظر حقه ناظرًا بعين الإنصاف، ولا تكن ممن ينظر في مقالة أصحابه ومن يحسن ظنه نظرًا تامًّا بكل قلبه، ثم ينظر في مقالة خصومه وممن يسيء ظنه به كنظر الشزر والملاحظة.

فالناظر بعين العداوة يرى المحاسن مساوئ، والناظر بعين المحبة عكسه، وما سلم من هذا إلا من أراد الله كرامته وارتضاه لقبول الحق.

وقد قيل:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة

كما أن عين السخط تبدي المساويا [1] اهـ

تأملوا كيف أن الشيطان خدع بني آدم بتغيير الأسماء، فصار يسمي الربا فوائد حتى يُقبل ويُستساغ، ويسمي الخمر المحرمة الملعونة: مشروبًا روحيًّا حتى تستساغ وتشيع بين الناس، وسمى إنكار المنكر: تدخلًا في شئون الآخرين.

فبهذا استطاع الشيطان أن يُنفِّر الناس عن دعوة التوحيد، ومن ذلك: أنه سمى دعوة التوحيد: استنقاصًا للصالحين، وسمى الشرك: تعظيمًا للصالحين؛ فإن الشيطان لما أراد أن يوقع الشرك في بني آدم أتاهم من باب الخير حتى خدعهم.

أخرج البخاري من طريق عطاء عن ابن عباس في قول الله -جل وعلا-: ﴿وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا

(١) مفتاح دار السعادة (١ / ١٤٠).

يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾، قال: "أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا، وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عُبدت".

أتاهم باسم الحرص على العبادة، ثم رويدًا رويدًا لما نُسي العلم عُبد أولئك الصالحون.

أرأيت كيف أن الشيطان يخدع بني آدم ويخطط عليه ولو إلى أمدٍ بعيد بعد قرون؟ لذا أجمعت الرسل على دعوة الناس إلى التوحيد، وعلى تحذير الناس من الشرك ومن وسائله؛ حتى يسد الباب على الشيطان.

قال الإمام ابن القيم: فإن الشيطان لا يأمر بخير ويرى أن هذا خير، فيقول هذا الداعي من الله، وهو معذور ولم يصل علمه إلى أن الشيطان يأمر بسبعين بابًا من أبواب الخير، إما ليتوصل بها إلى باب واحد من الشر، وإما ليفوت بها خيرًا أعظم من تلك السبعين بابًا وأجل وأفضل [٢]. اهـ

إذن لزامًا علينا أن نكون حذرين، وأن نتنبه إلى مداخل الشيطان الرجيم، وهذا لا يكون - بعد توفيق المولى- إلا بالعلم الشرعي.

انظروا إلى قول ابن عباس: حتى إذا نسخ العلمُ، عبدت -يعني حتى إذا نسي العلم عبدت- ؛ فالسلاح الذي يسد أبواب الشيطان ويقضي على تلاعبه هو العلم الشرعي، فالله َالله َبطلب العلم الشرعي!

وإن مما يدل على أهمية التوحيد: أن الله -جل وعلا- أرسل أول رسولٍ لما وقع الشرك، فقد استمر بنو آدم عشرة قرونٍ لا شرك بينهم، لذا لم يرسل الله -جل وعلا- رسولًا، فلما وقع

(٢) بدائع الفوائد (٣ / ٣٨٣).

الشرك الأول، وهو شرك قوم نوح، أرسل الله نوحًا.

ففي هذه القرون العشرة، وقع القتل كما بين بني آدم قابيل وهابيل، ولابد أن يقع ما دونه كالزنا والسرقة، ومع ذلك لم يرسل الله -جل وعلا- رسولًا، وإنما أرسل الرسول الأول وهو نوح عليه السلام لما وقع الشرك.

فدل هذا على: أن وظيفة الرسل الوظيفة العظمى هي دعوة الناس إلى التوحيد.

أخرج ابن حبان بإسنادٍ ظاهره الصحة عن أبي أمامة أن رجلا، قال: يا رسول الله أنبي كان آدم؟ قال: «**نعم، مكلم**»، قال: فكم كان بينه وبين نوح؟ قال: «**عشرة قرون**».

لذا كان من المهم الوقوف مع بعض أخطاء طائفة من المسلمين في توحيد الله رب العالمين.

❊ ❊ ❊

الخطأ الأول:
صرف العبادة لغير الله

كم من المسلمين الذين يتلفَّظون بكلمة التوحيد، وينادون على أنفسهم بأنهم مسلمون وهم قد غرقوا في بحار الشرك!

في إحدى الدول المجاورة، في يوم مولد أحد الذين يسمونهم أولياء، اجتمع عند قبره ثلاثة ملايين نسمة يطوفون حول قبره، ويذبحون وينذرون له، ويسألونه الشفاء، وغفران الذنوب، وكشف الكروب، ومع ذلك يزعمون أنهم مسلمون.

وفي إحدى الدول المجاورة، في منطقة غير كبيرة، يوجد بها مائتا ضريح يُعبد من دون الله سبحانه، انظروا إلى حال المسلمين في الدول المجاورة تراهم يفدون على الشرك زرافات ووحدانًا، وباسم الدين، ولو أن الشيطان لم يأتهم من باب الدين لما راجت عليهم مخططاته وشبهاته.

فأول خطأ يقع فيه بعض المسلمين: هو صرف العبادة لغير الله سبحانه، وقد سمعت والله بأذني هذه وأنا أطوف حول الكعبة في إحدى الرمضانات الماضية عجوزًا كبيرة في السن، تقول وهي تطوف حول بيت الله: **مدد مدد يا رسول الله**، أي: يا رسول الله أمدني بالعفو، أمدني بكشف الكروب، وبتحقيق الحاجات... إلى آخره.

أرأيتم كيف أنه قد انغمس في الشرك كثيرٌ من المسلمين؟ هذا هو السبب الرئيس لتغلب الكفار علينا، لأننا والله وتالله وبالله لو كنا قائمين بالتوحيد حقًّا لنصرنا ربنا سبحانه. قال الله سبحانه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا

يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾.

وقال -جل وعلا- في سورة الروم: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

فقطعًا لو قمنا بتوحيد الله حقًّا، لنصرنا الله صدقًا، لكن والله لسنا أهلًا لنصرته؛ لانتشار الشرك بين كثيرٍ من المسلمين، إلا أن يمن علينا بفضله، وهو ذو الفضل والمن ﷻ.

❊ ❊ ❊

الخطأ الثاني: فهم كلمة التوحيد على خلاف معناها الصحيح

ما أكثر الجامعات في العالم الإسلامي والتي تفسر كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) على معنًى يخالف المعنى الذي جاء به أنبياء الله ورسله، ومنهم محمد ﷺ !

فما أكثر المسلمين الذين يقولون: إن معنى لا إله إلا الله: لا خالق إلا الله، ولا قادر على الاختراع إلا الله، إلى آخر الكلمات التي مؤداها إرجاع تفسير كلمة التوحيد إلى توحيد الربوبية لا الألوهية.

وهذا خطأ عظيم؛ فإنه لو كان معنى كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) أي: لا خالق إلا الله لكان أبو جهل وأبو لهب وغيرهم من كفار قريش مسلمين، لأنهم كانوا يقرون بأنه لا خالق ولا رازق ولا مدبر إلا الله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾.

وقال: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾.

فلو كان معنى لا إله إلا الله أي: لا خالق إلا الله، لكان أول من يؤمن بها أبو جهلٍ وأبو لهبٍ، ولما قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾. فدل هذا أن معنى (لا إله إلا الله) يرجع إلى توحيد الإلهية الذي هو معركة الرسل مع قومهم، وهو إفراد الله بالعبادة.

فإن مما يذكره الإمام المجدد المصلح محمد بن عبد الوهاب: أن كفار قريشٍ خيرٌ من الذين يتلبسون بالشرك من المتأخرين، وذكر أسبابًا ومنها: أن الأوائل يعرفون معنى كلمة التوحيد، أما هؤلاء المتأخرون فلا يعرفون معنى كلمة التوحيد، لذا يقول أحدهم: لا إله إلا الله، وهو يذبح لغير الله ويطلب منه المدد.

❊ ❊ ❊

الخطأ الثالث:
الغلو في الصالحين

ومنهم نبينا محمد ﷺ ، ما أكثر الغلو في الصالحين في بني آدم، ويكفيك أن أول شركٍ وقع هو بسبب الغلو في الصالحين كما تقدم في تفسير ابن عباس لقوله تعالى: ﴿وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾.

وإن من صور الغلو في نبينا محمد ﷺ: ادعاء علمه للغيب، ما أكثر المسلمين كالصوفية ونحوهم ممن يدعونا أن رسولنا ﷺ يعلم الغيب، وهذا تكذيبٌ صريحٌ لكتاب الله ولسنته -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم-.

قال الله لنبيه: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾.

وقال في بيان أن علم الغيب له وحده: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾.

فلا يعلم ما في السماوات والأرض والغيب إلا الله ﷻ، فمن ادعى أن رسولنا محمدًا ﷺ يعلم الغيب، فقد سوى غير الله بالله في شيءٍ من خصائص الله، فيكون واقعًا في الشرك الأكبر الذي لا يُغفر.

وأيضًا من صور الغلو في الصالحين ومنهم نبينا الكريم محمد ﷺ: ادعاء أن بيده مغفرة الذنوب، وأن بيده إدخال الناس الجنة وإخراجهم من النار.

وهذا خطأٌ عظيم؛ فإن الشفاعة التي هي الشفاعة -ومنها شفاعة رسولنا ﷺ- لا تكون إلا بعد إذن الله وبعد رضاه عن المشفوع، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾، وقال: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾.

وخرج البخاري عن أبي هريرة أنه سأل النبي ﷺ: من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة، قال: «**لقد ظننت يا أبا هريرة ألا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصًا من قبل نفسه**».

وذكر ﷺ كما في الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «**فيأتوني فأسجد تحت العرش، فيقال: يا محمد، ارفع رأسك، واشفع تشفع، وسل تعطه**».

فلا يشفع إلا بعد إذن الله -جل وعلا- له، فكيف يقال: إن بيده مغفرة الذنوب ﷺ، وليس معنى هذا بحال استنقاصه ﷺ، كلا والله، وإنما هذا هو طاعة لأمره، ولأمر الله وإنزالٌ له لمنزلته.

كما قال ﷺ فيما خرج البخاري عن عمر: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم؛ فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله**».

وقال في حديث ابن مسعود في الصحيحين: «**إنما أنا بشرٌ مثلكم أنسى كما تنسون**».

فهو بشرٌ ﷺ ؛ فمن قال: إنه لا يعلم الغيب، وإنه لا يصح اعتقاد أن بيده مغفرة الذنوب وإدخال الناس الجنة إلى آخره، فإنما قال ما أمر الله به ورسوله ﷺ .

❊ ❊ ❊

الخطأ الرابع:
إتيان السحرة والكهان والعرافين

قد يبتلى بعض المسلمين بمرضٍ في نفسه أو زوجه أو ولده أو في حميمٍ له وصديق، ويذهب إلى الأطباء طارقًا أبوابهم، سائلًا الشفاء بفعل الأسباب التي يسرها الله، وهذا لا عيب فيه.

وإنما العيب أن بعضهم إذا لم يجد شفاءً ودواءً عند الأطباء ذهب بعد ذلك إلى السحرة والعرافين والكهنة يسألهم الشفاء، ويسألهم ويستعين بهم وبجنِّهم حتى يكشف ما به من ضر، وهذا خطير.

يقول الله -جل وعلا-: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ ثم قال في آخر الآية: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾، أي: ما له في الآخرة من نصيب.

أخرج الإمام أحمد عن بعض أزواج النبي ﷺ: أنه قال: «**من أتى عرافًا فصدقه بما يقول لم يُقبل له صلاة أربعين يومًا**».

وأخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة: «**فقد كفر بما أنزل على محمد**» ﷺ .

فالأمر خطيرٌ يجب على المسلم أن يكون محتاطًا، وألا يضيع دينه وآخرته بثمن بخس، بل الواجب أن يصبر ويصابر ويحتسب الأجر من الله، وليعلم أن ما أصابه فهو بقدر الله، ولو شاء لكشف عنه بقوله: كن؛ فيكون.

فالله الله بالرجوع إلى الله وبالصبر، كما قال تعالى: ﴿ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ﴾.

وكما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾.

وكما خرج الشيخان من حديث أبي سعيدٍ أنه ﷺ قال: «**ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحدٌ عطاءً خيرًا وأوسع من الصبر**».

وعلق البخاري عن عمر -رضي الله عنه- أنه قال: **وجدنا خير عيشنا بالصبر**.

واحذروا أولئك السحرة والعرافين الذين يخرجون أمام الناس باسم أطباء شعبيين، ولست أعني بهذا أن كل الأطباء الشعبيين سحرة، كلا، وإنما أعني أن هناك سحرةً وعرافين يخرجون أمام الناس باسم الطب الشعبي والعربي.

فإن قيل: كيف التمييز بين الطبيب الصادق، والساحر الكاذب؟

فيقال: بالنظر إلى أسئلته، كأن يسألك أسئلة ليس لها تعلق بالمرض، كأن يقول: ما اسم أمك؟

أو يذكر أمورًا لا تعلق لها بالمرض كأن يقول: إنك قتلت قطة عام كذا وكذا، أو في بطنك شامة، أو خذ مالًا وارمه في مكان كذا، أو خذ دجاجة أو ديكًا فاذبحه في مكان قضاء الحاجة إلى آخره.

إذا رأيته يسألك أسئلة ليس لها تعلق بالمرض ففر بدينك، فإنك بين يدي ساحر ومشعوذ، والدين لا يعدله شيءٌ.

وأحذركم من بعض المجلات التي فيها الأبراج مثل برج الثور وغيره، فيقولون: إن ولدت في البرج الفلاني فأنت سعيد، وإن ولدت في البرج الفلاني فأنت شقيٌّ إلى آخره.

وهذا من الكهانة والعرافة وهو محرمٌ في دين الله، ومن اعتقد صدقهم وأنهم يعلمون الغيب استقلالًا؛ فقد وقع في الشرك الأكبر، أما من نظر من غير تصديق، فلا تُقبل له صلاةٌ أربعين يومًا، ويكون كفرًا بما أنزل على محمد ﷺ على تفصيلٍ في المسألة.

❊❊❊

الخطأ الخامس:
اعتقاد أن الله في كل مكان

تسأل أحدهم: أين الله؟ فيقول: في كل مكان!

وهذا كفرٌ وردةٌ وخروجٌ عن الدين؛ لأنه تكذيبٌ لكتاب الله، ولسنة رسوله ﷺ، ولإجماع أهل العلم، وللفطرة، وللعقل.

أما كتاب الله: فهو متواترٌ في تقرير أن الله في السماء، كما قال الله -جل وعلا-: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾.

وكما قال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾.

أما السنة النبوية: فهي متواترة في تقرير أن الله في السماء كما خرج مسلمٌ من حديث معاوية بن الحكم السلمي أن جارية سألها النبي ﷺ: «**أين الله؟**» قالت: في السماء، قال: «**من أنا؟**» قالت: أنت رسول الله. قال ﷺ: «**أعتقها فإنها مؤمنة**».

وحكى الإجماع على أن الله في السماء غيرُ واحد من أهل العلم، منهم الإمام أبو العباس ابن تيمية في العقيدة المباركة التي سماها بالعقيدة الواسطية بأن جعله اعتقاد السلف.

وقال أيضًا في الفتوى الحموية الكبرى: وروى عبد الله بن أحمد وغيره بأسانيد صحاح عن ابن المبارك أنه قيل له: بماذا نعرف ربنا؟ قال: بأنه فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه، ولا نقول كما تقول الجهمية: إنه هاهنا في الأرض، وهكذا قال الإمام أحمد وغيره.

وروي بإسناد صحيح عن سليمان بن حرب الإمام سمعت حماد بن زيد وذكر هؤلاء الجهمية؛ فقال: إنما يحاولون أن يقولوا ليس في السماء شيء.

وروى ابن أبي حاتم في كتاب الرد على الجهمية عن سعيد بن عامر الضبعي -إمام أهل البصرة علمًا ودينًا من شيوخ الإمام أحمد- أنه ذكر عنده الجهمية فقال: أشر قولًا من اليهود والنصارى، وقد أجمع اليهود والنصارى وأهل الأديان مع المسلمين على أن الله على العرش، وهم قالوا: ليس على شيء.

وقال محمد بن إسحاق بن خزيمة إمام الأئمة: من لم يقل: إن الله فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه. وجب أن يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه، ثم ألقي على مزبلة؛ لئلَّا يتأذى بريحه أهل القبلة ولا أهل الذمة. ذكره عنه الحاكم بإسناد صحيح.

وروى عبد الله ابن الإمام أحمد بإسناده عن عباد بن العوام -الواسطي إمام أهل واسط من طبقة شيوخ الشافعي وأحمد- قال: كلمت بشرًا المريسي وأصحاب بشر؛ فرأيت آخر كلامهم ينتهي أن يقولوا: ليس في السماء شيء.

وعن عبد الرحمن بن مهدي الإمام المشهور أنه قال: ليس في أصحاب الأهواء شر من أصحاب جهم، يدورون على أن يقولوا: ليس في السماء شيء، أرى والله ألا يناكحوا ولا يوارثوا. اهـ

أما الفطرة: فإنك ترانا إذا أردنا أن ندعو نرفع أيدينا إلى السماء، بالله عليكم نبئوني

وأخبروني ما الذي جعلنا نرفع أيدينا إلى السماء إلا الفطرة التي فطرنا الله عليها؟!

أما العقل: فلو سُئلت ما أحسن الأماكن، أهو العلو أم الدنو؟

لا شك أن العقل دالٌّ على أن المكان العالي خير من المكان الداني، كما قرر ذلك الإمام أحمد في رده على الزنادقة، والإمام ابن تيمية في بيان تلبيس الجهمية، والإمام ابن القيم في كتابه الصواعق المرسلة.

فاللهَ اللهَ أن نعتقد موقنين جازمين بأن الله في السماء، إلا أن علمه في كل مكان، يعلمنا ويعلم كل ما كان؛ فهو سبحانه في السماء مستوٍ على عرشه، أما علمه الذي هو وصفه فإنه قد وسع كل شيءٍ مما كان، وما يكون، ومما سيكون، ومما لو كان كيف سيكون، فإنه يعلمه سبحانه.

فإياك أن تخلط بين الأمرين؛ فإن سئلت: أين الله؟ فقل جازمًا: إنه في السماء على عرشه استوى، كما أخبر في سبع آيات، ومن ذلك قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾، أما علمه: ففي كل مكان.

الخطأ السادس:
ضعف عقيدة الولاء والبراء

ملخص هذه العقيدة: حُب أهل الإيمان على قدر ما عندهم من الإيمان، وبغض الكفار مطلقًا، وأهل البدع مطلقًا على قدر بدعهم، وأما أهل المعاصي على قدر معاصيهم، هذه هي عقيدة الولاء والبراء، ومنزلتها في الشرع عظيمة.

قال أبو الوفاء ابن عقيلٍ: إذا أردت أن تعرف محل الإسلام من أهل الزمانِ فلا تنظر إلى ازدحامهم في أبواب المساجد ولا إلى ضجيجهم بـ: لبيك، ولكن انظر إلى مواطأتهم لأعداء الشريعة (٣). اهـ

فبهذا ابن عقيلٍ يعطينا الميزان لقوة الإسلام؛ فليس بكثرة الحاجِّين والمعتمرين، ولا بازدحام الناس عند أبواب المساجد، وإنما الميزان ما حال قلوبهم وأعمالهم مع الكفار أهم يبغضون الكفار لكفرهم، وأهل البدع لبدعهم؟ إن كان كذلك فاعلم أن الإسلام قويٌّ، أما إن كان خلاف ذلك فاعلم أن في الإسلام ضعفًا.

إن عقيدة الولاء والبراء عقيدة معتدلة محكمة، وقد غلت طائفة في هذه العقيدة وجعلت أشياء من عقيدة البراء من الكفار وليست كذلك.

من ذلك: ظن بعضهم أن من القيام بهذه العقيدة قتل المعاهدين والمستأمنين.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب: ومنها: الجسرة على ذمة المسلم، فإذا أعطى أحد من المسلمين لا أمير ولا غيره أحدًا من الكفار ذمته، ما جاز لأحد من المسلمين أن يخفره، لا في دمه

---

(٣) الدرر السنية (٨/ ٣٠٠).

ولا ماله.

كما جاء في الحديث: «ذمة المسلمين واحدة، يسعى بها أدناهم، فمن أخفر مسلمًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفًا ولا عدلًا».

ومن العجب: أن بعض الجهال يفعل هذا ديانة، ويظن أنه معاداة للكفار (٤). اهـ

فإن قتل المعاهدين من الكفار شديد الحرمة في دين محمد ﷺ.

أخرج البخاري من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أنه ﷺ قال: «**من قتل مُعاهدًا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عامًا**».

فهؤلاء الغالون في عقيدة الولاء والبراء وقعوا في محاذير:

أولًا: أنهم اعتقدوا خلاف دين الله.

ثانيًا: أنهم وقعوا في الغلو، والغلو محرم في الدين.

ثالثًا: أنهم تسببوا في تسلط الكفار على المسلمين.

رابعًا: أنهم تسببوا في إضعاف عقيدة الولاء والبراء؛ فإن الناس إذا رأوا غالين في عقيدة الولاء والبراء أصيبوا بردة فعل وقللوا الكلام فيها، حتى لا ينتشر الغلو بين الناس.

ومما ينبغي أن يعلم: أن هناك أناسًا مقصرين في القيام بهذه العقيدة.

ومن صور تقصيرهم: التشبه بالكفار.

أخرج أبو داود عن ابن عمر أنه ﷺ قال: «**من تشبه بقومٍ فهو منهم**»، جود الحديث الإمام ابن تيمية، وحسنه الحافظ ابن حجر.

---

(٤) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٤/ ١٠).

فمن مقتضى هذه العقيدة المباركة: حرمة التشبه بالكفار، بل يعتز المسلم بلغته وبهديه الظاهر، ويخالف في ذلك الكافرين، وأعني بذلك: ما اختصوا به، أما ما انتشر وشاع بين المسلمين والكفار فلا يصح لأحدٍ أن يمنع المسلمين من فعله لأجل فعل الكفار له، وفي المسألة تفصيلٌ لا يناسبه مختصر كهذا.

ومن صور التقصير: ظن بعضهم أن العداوة إنما تكون للكافر الحربي وهم الذي يقاتلون، أما الكفار الذين لا يقاتلون فإننا لا نبغضهم ولا نعاديهم.

وهذا خطأ مخالف للقرآن؛ فإن الله قال: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

فنحن مطالبون ببغض الكفار ولو كانوا آباءنا وأبناءنا وإخواننا وعشيرتنا؛ لأنهم كفار محادون لله ورسوله ﷺ، لا لأنهم مقاتلون لنا.

وهذا لا يتنافى مع معاملة غير الحربي المعاملة الحسنة كما قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ كما يجتمع في القلب حب الدواء الكريه الطعم لنفعه، مع بغضه لطعمه.

ومن صور تقصير المسلمين في هذه العقيدة المباركة: بدء الكفار بالسلام؛ فقد أخرج مسلم من حديث أبي هريرة أنه ﷺ قال: «**لا تبدءوا اليهود ولا النصارى بالسلام، فإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه**».

فاللهَ اللهَ أن نقيم هذه العقيدة المباركة من غير غلو ولا جفاء، وأن نتذكر قول المولى -جل وعلا-: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾، علمًا أن إبراهيم عليه السلام يخاطب أباه وعشيرته: ﴿إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾.

فانظروا كيف أن إبراهيم عليه السلام قام بهذه العقيدة المباركة، وأن الله قد جعله قدوةٌ حسنة لنا.

ومن المؤلم المؤسف: أن أحد المفتونين في إحدى القنوات الفضائية قال: أنا لست أكفر النصارى ولا اليهود ولا البوذيين ولا غيرهم.

وهذا مروقٌ وخروجٌ من الدين؛ لأن من لم يكفر من كفره الله ورسوله كاليهود والنصارى؛ فإنه كافرٌ بإجماع المسلمين.

قال شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية: ومن لم يحرم التدين -بعد مبعثه ﷺ- بدين اليهود والنصارى، بل من لم يكفرهم ويبغضهم فليس بمسلم باتفاق المسلمين (٥). اهـ

والله تعالى يقول: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾.

ويقول: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾، أي: اليهود والنصارى والمشركين.

فاللهُ يكفرهم وهذا يكذب كلام الله، ولا يكفرهم، ففعله وقوله مروقٌ وخروجٌ عن الدين.

وبهذا تدرك خطأ ما يدعو إليه بعضهم من تقريب الأديان، ومن وحدة الأديان؛ فإن الدين الإسلامي عزيزٌ لا يرضى التقارب مع أحد، ولا يرضى أن يكون مع أحد، وإنما هو دينٌ حقٌّ في نفسه، يعتبر كل دينٍ سواه كفريًّا سببًا في خلود صاحبه في النار.

---

(٥) رأس الحسين (ص١٩٤).

أخرج مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار**».

فاللهَ اللهَ أن نعتز بهذه العقيدة المباركة.

وأنبه أنه ينبغي لنا أن نفرق بين حال القوة والضعف، فيجوز في حال القوة ما لا يجوز في حال الضعف، ومن ذلك جهاد الطلب فإنه مطلب شرعي في حال القوة بخلاف حال الضعف.

ومن أوضح ما يبين ذلك هدي رسول الله ﷺ العملي، ففي مكة لم يشرع جهاد الضعف لضعف رسول الله ﷺ وأصحابه بخلاف لَمَّا انتقل إلى المدينة؛ فقد شرع جهاد الطلب لَمَّا قوي المسلمون كما قال تعالى: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴾.

أسأل الله عزًّا للإسلام والمسلمين ورفعًا لراية التوحيد والسنة.

❊ ❊ ❊

الخطأ السابع:
الريـاء

وما أدراك ما الرياء! هو التعبد لله من أجل الناس، يصلي المصلي من أجل الناس، يَذكر الذاكر من أجل الناس، يعلِّم المعلم من أجل الناس، يتصدق المتصدق من أجل الناس.

هذا الرياء خطيرٌ وكثير الانتشار، بدليل ما خرج الإمام أحمد والبيهقي عن محمود بن لبيد أن النبي ﷺ قال مخاطبًا أصحابه -وهم أصحابه-: «**أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**»، فلما سُئل عنه، قال: «**الرياء**». وخرج مسلم من حديث أبي هريرة في الحديث القدسي، قال الله تعالى: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملًا أشرك معي فيه غيري، فقد تركته وشركه**».

إذن فالأمر خطيرٌ يا إخوان، بل إن الشرك الأصغر كالرياء، أعظم من الكبائر، أعظم من الزنا، ومن غيره من الذنوب، وهو كثير الانتشار.

فأسأل الله بمنه وفضله وكرمه وجوده أن يعصمني وإياكم منه، وأن يحفظنا من هذا الذنب العظيم، ومن غيره من الذنوب بمنه وفضله وكرمه.

فهذا الرياء مفسدٌ للأعمال، ومحبطٌ لأجره، ومعذب صاحبه.

وأنبه إلى أن كثيرين شاع بينهم كثرة إظهار العمل الصالح عند الناس لأجل تنشيطهم، هذا حقٌّ، ومطلبُ خيرٍ، لكن إياك أن تكثر منه؛ حتى لا يخادعك الشيطان فتقع في الرياء، فإن أول من تُسعَّر بهم النار ثلاثة -كما خرَّجه مسلم من حديث أبي هريرة-: **عالمٌ قارئٌ لكتاب الله، ومجاهد، ومتصدق**، فكن حذرًا.

أسأل الله أن يعصمني وإياك من هذا الذنب العظيم.

❊❊❊

الخطأ الثامن:
ضعف التوكل في قلوبنا

ما أضعف عقيدة التوكل في قلوبنا!

كثيرٌ منا يتعلق قلبه بالأسباب الدنيوية ناسيًا رب الأسباب ﷻ.

فاللهَ اللهَ أن نقوي في قلوبنا التوكل على ربنا -جل جلاله وعظم سلطانه-: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣]. وقال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣].

لكن إياك أن تفهم أن من التوكل التواكل -وهو ترك الأسباب-؛ وإنما كُن وسطًا تفعل الأسباب الجائزة شرعًا، ويتعلق قلبك بربِّ الأسباب ﷻ.

أما من يترك الأسباب؛ فقد ذكر ابن تيمية -رحمه الله تعالى- بيان ذلك بقوله: **"فالالتفاتُ إلى الأسباب شركٌ في التَّوحِيدِ، وَمَحْوُ الأسبابِ أن تكُونَ أسبابًا نقصٌ فِي العقل، والإعراضُ عن الأسباب المأمُورِ بها قَدْحٌ فِي الشَّرعِ؛ فَعَلَى العبد أن يكونَ قلبُهُ مُعتَمِدًا عَلَى اللهَّ لا على سَبَبٍ مِن الأسبابِ، والله يُيَسِّرُ لَهُ مِن الأسبابِ ما يُصْلِحُهُ فِي الدُّنيَا والآخرَةِ"** (٦).

---

(٦) مجموع الفتاوى (٨/ ٥٢٨).

ما أكثر الناس من الطلاب وغيرهم من الآباء وغيرهم، تراه يقول: ليست عندنا وظيفة، هل سأجد وظيفة إذا تخرجت أو لا؟

فيعتمد قلبه على هذه الوظائف، ناسيًا ربه ﷻ، أنت افعل الأسباب الشرعية، وتوكل على ربك، وبعد ذلك ما قضاه الله فهو خيرٌ لك بتوفيق الله عز وجل، فإن كان ضررًا عليك فتصبر فتأخذ أجره، وإن كان خيرًا لك فتحمد الله فتأخذ أجره.

كما خرَّج مسلم من حديث أبي يحيى صُهيب الرومي، قال ﷺ: «**عجبًا لأمر المؤمن؛ إن أمره كله له خير، إن أصابته ضراء صَبَرَ؛ فكان خيرًا له، وإن أصابته سراء شَكَرَ؛ فكان خيرًا له**».

❊ ❊ ❊

الخطأ التاسع:
الـغلـو فـي القـبـور

قد ذهبت إلى بعض البلدان فرأيت عجبًا، وهو أنك تتعب تعبًا شديدًا حتى تجد مسجدًا لا قبر فيه!

وإن إدخال القبور في المساجد غُلوٌّ مُحرم في دين الله، وهو من الغلو في القبور.

خرج الشيخان من حديث ابن عباسٍ وعائشة أنه ﷺ قال: «**لعنةُ الله على اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**».

وأيضًا من صور الغلو في القبور: البناية عليها، وتجصيص القبور؛ فقد خرج مسلم من حديث جابر: أن النبي ﷺ نهى أن يُجصص القبر، وأن يُبنى عليه، وأن يقعد عليه.

فما أكثر المسلمين الذين يبنون الأضرحة على القبور!

طُف ما حولك من البلدان تجد شيئًا عجبًا من هذا الأمر.

❊ ❊ ❊

الخطأ العاشر:
انتشار التمائم

التي يعلقها المسلمون في صدورهم، أو أيديهم، أو صدور أبنائهم وأحبابهم، أو أيديهم.

خلاصة التمائم: أنه خرزٌ وخيوطٌ وأشياء يعلقها الإنسان لتتم له الفائدة بدفع الضر وجلب الخير، وهي في الواقع ليست سببًا في جلب الخير ولا دفع الضر.

والتمائم شركٌ في دين محمد ﷺ؛ فقد خرج الإمام أحمد من حديث عقبة أنه ﷺ قال: «**من تعلَّق تميمة؛ فقد أشرك**». وأخرج أبو عبيد في كتابه الغريب بإسنادٍ صحيحٍ عن عبد الله بن مسعود أنه قال: «**إن الرقى والتمائم والتِّولة شركٌ**».

فهذه التمائم شركٌ، ولها حالتان:

الحالة الأولى: أن يعلقها الإنسان وهو يعتقد أنها بذاتها استقلالًا تدفع الضر وتجلب النفع، هذا من فعله بهذا الاعتقاد فقد وقع في الشرك الأكبر -أسأل الله أن يعافيني وإياكم-.

أما الحالة الثانية: هو أن يعلقها ظنًّا أنها سببٌ من عند الله، فهذه في حقه شركٌ أصغر، وهو أكبر من الكبائر -أسأل الله أن يعافيني وإياكم-.

وما أكثر الذين يعلقون التمائم ويزعمون أنها من القرآن، والواقع خلاف هذا.

أذكر أني رأيت رجلًا يطوف حول الكعبة وقد علق تميمة، فاستأذنته في أخذها، وكلمته فأخذتها، فقال: إنها من القرآن، فلما فتشتها لم أجد فيها إلا طلاسم وخزعبلات لا تُعرف ولا يُدرى ما فيها!

فإياك أن يغرَّرَ بك بأن هذه التمائم من القرآن، فما أكثر التمائم التي يقال: إنها من القرآن، والواقع خلاف هذا.

❊❊❊

الخطأ الحادي عشر:
الـطـيــرة

وما أدراك ما الطيرة! ترى أحد الناس إذا أراد أن يفتح محلًّا، فهبت ريحٌ، قال: اليوم لا أفتح محلي، لِمَ؟ لأنه في أول النهار قد هبت ريحٌ، فتشاءم وتطير بها، أو سمع صوت غرابٍ فتشاءم وتطير منه، أو رأى رجلًا أعرج فتشاءم وتطير منه.

هذا كله من الشرك -أسأل الله أن يعافيني وإياكم-.

فإن خلاصة الطيرة: هي ما أمضاك أو ردَّك، وليس سببًا حقيقيًّا في الإمضاء أو الرد.

وهي شركٌ كما ثبت عند الترمذي من حديث ابن مسعود أنه ﷺ قال: «**الطيرة شركٌ، الطيرة شركٌ، الطيرة شركٌ**» صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

فالطيرة شرك في دين محمد ﷺ ؛ فإياك إياك والتطير.

وللأسف ترى بعض المسلمين يتناقل ألفاظًا أصلها مأخوذٌ من أهل التطير، كقول بعضهم: نحن الآن في صفر الخير، يصف شهر صفر بأنه صفر الخير، وهذا من التطير؛ لأن أهل الجاهلية كانوا يتطيرون به.

ومن ذلك قول بعضهم إذا كلمه رجلٌ: خير يا طِير! هذا أيضًا من التأثر بأهل الجاهلية.

❊ ❊ ❊

الخطأ الثاني عشر:
الحلف بغـير الله

فالحلف بالنبي ﷺ ، أو بالنعمة، أو بصلاة فلان، أو بقيامه، أو بالأمانة، ترى بعضهم يقول: وصلاتك، أو في صلاتك أن تفعل كذا وكذا، أو في قيامك أو صيامك، وبعضهم يقول: والنبي، وحياة فلان، إلى آخره، هذا كله من الحلفِ بغير الله، وهو شركٌ؛ لأن الحلف لفظٌ خاصٌّ بالله.

خرج الشيخان من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ سمع رجلًا يحلف بأبيه؛ فقال ﷺ: «**ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم؛ فمن كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت**».

فإياك إياك والحلف بغير الله، وكن حذرًا حتى ولو كنت نشأت في بيئة يكثر فيها الحلف بغير الله، فعوِّد نفسك على تركه؛ فإنما العلم بالتعلم، والله -جل وعلا- يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت:٦٩].

❊ ❊ ❊

الخطأ الثالث عشر:
تأويل الأسماء والصفات

ما أكثر الجامعات والمدارس في العالم الإسلامي التي تُربِّي طلابها على تأويل أسماء الله وصفاته، فلا يثبتون ما أثبته الله لنفسه من أسماء وصفات.

فالله تعالى يقول: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤]، وهؤلاء يقولون: لا، ليس لله يدان.

الله تعالى يقول: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة:٣]، فيثبت لنفسه الرحمة، وهؤلاء ينفون الرحمة عن الله -جل جلاله وعظم سلطانه- هذا تأويل وتحريف للكلم، وتغيير لكلام الله وكلام رسوله ﷺ.

فإذا سألتهم: لماذا لا تثبتون اليد لله كما أثبتها لنفسه؟

قالوا: إننا لو أثبتنا لله يدين للزم من هذا أن نشبه يدا ربنا بأيدينا، والتشبيه محرمٌ في الشرع.

فيقال لهم: من قال لكم إنكم إذا أثبتم لله يدين لزم من هذا تشبيهًا بأيدي المخلوقين، بل كلٌّ يداه تليق به، ويدا ربنا تليق بجلاله وعظيم سلطانه.

ألست ترى في الواقع أن للحيوانات أيدٍ وكلٌّ منها يداها تخالف غيرها، والإنسان له يدان، ويداه تخالف أيدي الحيوانات؛ فلا يلزم من إثبات اليد للإنسان أن تكون مشابهة للحيوانات، والله له المثل الأعلى، له يدان تليق بجلاله وعظيم سلطانه، وقد ذكر نحو هذا الكلام الإمام ابن خزيمة في كتابه (التوحيد).

❊ ❊ ❊

الخطأ الرابع عشر:
إثارة ما شاع بين صحابة رسول الله ﷺ

إن لصحابة محمد ﷺ منزلةً عظيمة في الشرع، وقد رضي الله عنهم وأرضاهم، كما قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح:٢٩] إلى آخر الآية، ذكرها في سياق مدحهم والثناء عليهم.

وقال: ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ [الفتح:١٨].

وقد ذكر ﷺ كما في حديث عمران، وابن مسعود، وغيرهما وكلها في الصحاح أنه ﷺ قال: «**خير الناس قرني ...**» وفي الحديث الآخر: «**خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم ...**».

فخير الناس صحابة رسول الله ﷺ.

ومن حقهم علينا: أن نمسك عن مساوئهم؛ فهم بشر يخطئون، وتقع لهم مساوئ، لكن حقهم علينا أن نمسك عن مساوئهم، وعما شجر بينهم.

خرج الشيخان من حديث أبي سعيدٍ أنه ﷺ قال: «**لا تسبوا أصحابي؛ فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أُحدٍ ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه**».

وإن إثارة ما حصل بينهم من مساوئ، وأكثرها مكذوبٌ لا أصل له -كما ذكر الذهبي والإمام ابن تيمية-، إن إثارة مثل هذا يوغر صدور الناس على صحابة رسول الله ﷺ .

خرج علينا أحدهم فأخرج أشرطة بعنوان (قصص تاريخية)، ذكر فيها ما هب ودب مما يروى في الكتب فيما حصل بين صحابة رسول الله ﷺ ، وأكثر ما ذكر مكذوبٌ لا صحة له، فنشرت هذه الأشرطة، ونشرتها بعض المؤسسات التجارية، فضرت المسلمين أيما ضرر.

والله.. والله.. والله سمعتُ أحد الأخيار يقول بعد سماعه لهذه الأشرطة: إن في نفسي شيئًا على عليٍّ رضي الله عنه الخليفة الراشد!

فنشرُ مثل هذه الأشرطة خطيرٌ في حق جناب صحابة رسول الله ﷺ ، وإنه لمن الواجب علينا: أن نشيع بين الناس محاسنَ وحقوقَ صحابة رسول الله ﷺ ؛ حتى يستقر في قلوب العامة صغارًا وكبارًا رجالًا ونساءً تعظيمُ وإجلالُ وتوقيرُ صحابة رسول الله ﷺ .

فإذا سمعوا أن أحدهم سبهم، أو استنقصهم، غاظوا عليه أيما غيظ.

فالله الله بمعرفة حقهم، وبالرد على كل من يستنقص شيئًا من حق صحابة رسول الله ﷺ .

❊ ❊ ❊

الخطأ الخامس عشر:
ألفاظٌ شائعةٌ بين بعض المسلمين

وهي مخالفةٌ لتوحيد الله رب العالمين.

من ذلك: قول بعضهم للرجل الميت: فلان انتقل إلى مثواه الأخير.

هذه كلمة خطيرة؛ لأن مقتضاها إنكار يوم البعث والنشور؛ فإن حياة البرزخ حياة وسطٍ بين حياة الدنيا وحياة الآخرة، وقد كفَّر ربنا من أنكرَ البعثَ والنشور.

قال تعالى في سورة التغابن: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [التغابن:٧].

إذن؛ قول القائل: (انتقل فلانٌ إلى مثواه الأخير) كلمة خطيرة كفرية، وإن كان القائل لا يُكفَّر؛ لأنه يجهل حقيقة هذه الكلمة.

ومن ذلك: قول: بعض المؤذنين في أذانه أو بعض المتحدثين في كلامه: **الله أكبار**.

ذكر ابن قدامة في المغني، والنووي في المجموع، وغير واحدٍ من أهل العلم ومن أهل اللغة أن معنى **أكبار**: جمع طَبل، فكأنه يقول: الله أطبال، أو الله طُبولٌ، وهذه كلمة كفرية، لكن لكون المتلفظ بها لا يعلم حقيقتها لا يُكفَّر؛ وإنما يُعلَّم ويجب عليه أن يدع هذه اللفظة.

ومن ذلك: قول بعضهم: الله يظلمك، أو: الله يخونك.

وهاتان كلمتان محرمتان؛ فإن الله حرَّم على نفسه الظلم، وهو لا يظلم أحدًا ﷻ: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ [فصلت:٤٦].

وخرج مسلم من حديث أبي ذر في الحديث القدسي أن الله تعالى قال: «**يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا؛ فلا تظالموا**».

ومن ذلك أيضًا: قول بعضهم لمن يُصاب بمصيبة: فلانٌ ما يستاهل، أي: لا يستاهل هذه المصيبة.

وهذه كلمة خطيرة؛ لأن فيها اعتراضًا على قضاء الله وقدره، والله تعالى يقول: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [التين:٨].

ومن ذلك: قول بعضهم وهو يقرأ سورة الفاتحة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]، (إياك) إذا خُفِّفَت ولم تشدد صار معناها: ضوء الشمس، فكأنه يقول: ضوء الشمس نعبد، وضوء الشمس نستعين.

ويجب على المسلم عند قراءته لها أن يقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، يشدد: (إيَّاك).

ومن ذلك: قول بعضهم: تبارك علينا يا فلان.

بعضهم إذا أراد أن يدعو رجلًا -يزوره في بيته- يقول: تبارك علينا يا فلان.

وقد قال الإمام ابن القيم في كتابه بدائع الفوائد (٣/ ٢٦٨): **"وأما صفته ﴿تَبَٰرَكَ﴾ فمختصة به تعالى كما أطلقها على نفسه بقوله: ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤]. ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك:١] ..."** اهـ.

وقال في جلاء الأفهام (١/ ٣٠٦): **"وقال ابن عطية: معناه عظم وكثرت بركاته ولا يوصف بهذه اللفظة إلا الله ﷻ ولا تتصرف هذه اللفظة في لغة العرب لا يستعمل منها مضارع ولا أمر".** **اهـ**

وفي الختام: قد سمعنا -إخواني- أخطاء بعض المسلمين في توحيد الله رب العالمين، وهم في ذلك ما بين مستقلين ومستكثرين.

وهذه الأخطاء -وأنا لم أذكرها كلها، وإنما ذكرت شيئًا من الأخطاء- وللأسف شائعة ومنتشرة بين كثيرٍ من المسلمين، وإن سبيل علاجها وإصلاحها الدعوة إلى التوحيد.

فواجبٌ على الدعاة إلى الله: أن يُشغلوا دعوتهم وأنفسهم بدعوة الناس إلى التوحيد، وألَّا يشغلوهم بأمورٍ لا تعود عليهم بالفائدة.

فقد خَرَج علينا دعاةٌ أشغلوا الناس بقضايا لا تنفعهم، إن لم تكن من العلم الضار، فإنها من العلم الذي لا ينفع، والعلم الذي لا ينفع قد استعاذ منه ﷺ، كما خرَّج مسلم في صحيحه من حديث زيد بن الأرقم أنه ﷺ كان يستعيذ بالله من أربع، ومنها: «**اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع**».

فخرج علينا أُناس أشغلوا المسلمين بقضايا لا تنفعهم، كتتبع الصحف والجرائد والمجلات، الفقه الذي يسمونه بفقه الواقع أو بالسياسة.

ترى بعضهم إذا أراد أن يُبدي لك بأنه رجلٌ مثقف أخذ يطرح معك قضايا سياسية، ولو فتحت المصحف وقلت: اقرأ لي القرآن نظرًا تلاوةً، لما أحسن قراءته، وهذا من أسباب تلاعب الشيطان.

من صور تلاعبه أنه أخرج علينا دعاةً أشغلوا الناس بما لا ينفعهم.

فواجبٌ علينا يا إخواني إن كنا ناصحين حقًّا، ومبتغين ما عند الله صدقًا: أن نسلك سبيل الرسل، ووظيفة الرسل: دعوة الناس إلى التوحيد؛ فكل نبيٍّ يأتي إلى قومه قائلًا: يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره.

وأيضًا يجب على عامة المسلمين أجمعين: أن يدرسوا التوحيد، إذا كان هناك درسٌ لرجل موثوقٍ بعلمه وبمنهجه السلفي، فنحرص على أن ندرس عليه علم العقيدة، نقرأ كتاب التوحيد، وثلاثة الأصول، وكشف الشبهات، والقواعد الأربعة.

وأيضًا يا إخواني نقتني أشرطة علمائنا الكبار الأجلاء، كالإمام عبد العزيز ابن عبد الله بن باز، والإمام محمد بن صالح العثيمين، والإمام محمد ناصر الدين الألباني، وغيرهم من علمائنا كالشيخ صالح الفوزان، وغيرهم.

نأخذ أشرطتهم في التوحيد فنسمعها، ونُسمعها غيرنا، ونوزعها بين الناس.

وكذلك نقرأ الكتب في التوحيد، كالرسالة المختصرة المفيدة للإمام عبد العزيز بن عبد الله بن باز بعنوان: (العقيدة الصحيحة وما يُضادها).

وكالرسالة الأخرى له بعنوان: (قوادح التوحيد)، أين نحن عن هذه الرسائل والكتب المفيدة، قليلةُ الأوراق كثيرةٌ الفائدة.

وللأسف ترى بعضهم يضع مسابقات وإعلانات على أشرطةٍ مختارة، لا ترى بينها غالبًا أشرطة تتعلق بالتوحيد، وهذا خطأٌ ونقصٌ وسببٌ لإفراح الشيطان، وإغضاب الرحمن، وإضعافٍ لأمة محمد ﷺ.

أسأل الله الذي لا إله إلا هو بمنه وفضله أن ينصر دينه، وأن يعلي كلمته، وأن يجعلني وإياكم دعاةً للتوحيد، وأن يثبتنا على التوحيد، وأن يميتنا على التوحيد، وأن يجعلنا ممن يلقاه على التوحيد فيرضى عنه فيسكنه بمنه وفضله جنته؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وجزاكم الله خيرًا.

إعداد

د. عبد العزيز بن ريس الريس

المشرف العام على شبكة الإسلام العتيق

HTTP://ISLAMANCIENT.COM

❊ ❊ ❊